الشعر في عسير

عبد الله بن قيس الغامدي

مكتبة دار الفتح بدمشق

الشعر في عسير

تأليف

عبدالله بن قيس الغامدي

مكتبة دار الفتح بدمشق

الطبعة الاولى

١٣٩٨ هـ
١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

فاني أردت بكتابتي لهذا الموضوع الصغير أن أعرّف القــراء بمنطقة عسير المغمورة ، وأبين شيئاً من أدبها وتاريخها الزاهر • وما أعتقد أن في هذا شيئاً فكل أمرىءٍ يحبّ أن يوجّه النظر الى منطقته ، فقد جبل الانسان على حب وطنه •

وأنا ـ ابن عسير ـ أفخر بما في بلدي ، واعتزّ بما في تاريخها ، أهوى أرضها ، وأتعشق مُناخها ، وأستطيب هواءها ، وأُسرّ لكرم أهلها ، ويعجبني خلق أبنائها ، وجو سمائها ، وطعم مائها ، وكثرة بهائها ، وسر صفائها ، دون تعصب ولا نكران للبلاد الأخرى فكل أرض جعلت لأهلها شامة •

ومــاء بلادي كــان أطيب مــورداً ولو أن ماء الكرخ صهباء جريان

وحبذا لو أن كل انسان عرّف بوطنه ، ووجّه النظر الى دياره ، فعُرفت الأقطار ، وعُلم مافي الأمصار ، فتنقل المرء من زهرةٍ الى زهرة يعرف ما فيها من روائح طيبة فيشمّ ما يحلو له ، ويستنشق ما يطيب له فتصفو حياته ويهنأ عيشه ، وهذا ما نريده للبشر •

وأخيراً نرجو أن نوفق فيما قمنا من أجله ، وأن يسدد الله خطانا ويلهمنا الصواب والسير على الطريق المستقيم فهو نعم المولى ونعم النصير •

عبد الله بن قيس الغامدي

مقدمة

الشعر روضة يرتع فيها صاحبها ، يبيّن فيها لسامعه ما يختلج في نفسه ، وما يدور فيها ، يدعوه ليطرب معه ، أو يسمعه ليحيا بجانبه فيما يعانيه ، فكم من قول رفّ معه القلب فرحاً ، وتهيأ لسماع كلمةٍ أخرى تنقله الى معانٍ ذات بهجة يحسّ فيها ولا يراها ، يعيش فيها بذهنه أملا محققاً ترتاح معها النفس ، ويستقر فيها الفكر ! وكم من شعر هدّ سامعه قبل أن ينفذ الى قلب قائله ، وعاش كلاهما منقبضاً حائراً خائراً .

الشعر موهبة يقوّيها المران ومتابعة الأدب ، وتزيدها الأحداث ، يغذّيها الجمال وينمّيها الحنين ، يغدق عليها الطموح ، يصبغها المجد بصباغه ، ويطبعها العزّ بطابعه ، تؤثر فيها الوراثة فأسر كاملة عرفت بقرض الشعر ، وأحفاد ورثوا ذلك عن آباء وأجداد .

الشعر فنّ له أغراضه المتعددة ، كل غرض منه تدفع عليه حاجة نفسية معينة ، أو تؤثر فيه بيئة يعيش فيها شاعرها .

العرب في القديم لهم في قصائدهم غرض واحد ، وان كانت أشعارهم تجمع أنواعاً معينة ، وتسير على طريقة واحدة ، وهي ما عرف باسم « عمود الشعر » ، تبدأ بالرحلة والناقة ووصفها والوقوف على الأطلال وذكر الحبيب حتى نصل الى الغرض المطلوب من مديح أو رثاء ، وقد يكون فخر أو هجاء ، وتتخلل القصيدة أبيات من الحكمة تشدّ السامع اليها ، وتزيد من أصغاء الحاضر وانتباه الموجودين .

ومع الزمن تعددت الأمراض ، واقتصر بعض الشعراء على واحدٍ منها . فالحب يذكي في النفس قول الغزل ، واذا كان هو الذي يحرّك مافي القلب وحده انقطع صاحبه عليه حتى عرف به ، فعمر بن أبي ربيعة لم تكن نفسه لتدفعه الى أبعد من ذلك حتى غدا عندما يذكر يذكر معه الغزل ، أو عندما يذكر ابن أبي ربيعة يتبادر الى الذهن الحب كأول ما يتبادر •

قالت لصغرى وقد تيّمتها قد عرف

ـناه هذا عمر وهل يخفى القمر ؟

ونسب كثير من الشعراء الى من أحبوا من الفتيات ، فجميل بن معمر نسب الى بثينة حتى أصبح لا يعرف إلا باسم « جميل بثينة » ، ونسب « كثير » الى « عزة » ، ونسب « عبيد الله بن قيس » الى « الرقيات » اللواتي أحبهن و ••••• ويكون الغزل عادة في سن الشباب وان كان يتعداها الى مرحلةٍ متأخرة عند بعض النفوس ، فيقول البحتري •

انـي وان جاوزت بعض صبابتي

وتوهم الواشون أنـي مقصر

ليشوقني سحر العيون المجتلى

ويروقني ورد الخدود الأحمر

ويكون الغزل أكثر ما يكون في الاوساط الفنية المرفهة التي لا يشغلها شاغل ، وعندما لا تمر بالبلاد أحداث جسام تلهي الناس عما هم فيه •••• وتكون في البيئات البدوية حيث يلتقي الشاب والفتاة

مع ناي الراعي أو عند عين القبيلة الثرة •••• وبصورة عامة عندما تستقر الحياة ، ويقف بالانسان الطموح ، ويكون الأمل الوحيد ذلك الحبيب •

وجمال الطبيعة يؤثر في النفس فيدفعها الى الوصف ، فالبيئة التي يعيش فيها الشاعر تلهمه بجمالها النطق أو تنطقه بسحرها ، فأبو تمام أجاد بربيع العراق :

تريا نهاراً مشمساً قد شابه'

زهر الربا فكأنما هو مقمر

وفتن البحتري بمرابع منبج وجمال نهر الذهب ينساب في فصل الربيع رقراقاً :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى

أوائل وردٍ كن بالأمس نوَّما

يفتّقها برد الندى فكأنه

يبثّ حديثاً كان قبل مكتما

فمن شجر ردّ الربيع لباسه

عليه كما نشرت وشياً منمنما

أحلّ فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين اذ كان محرما

وابن زيدون يروق له جمال الأندلس وكثرة خضرة أرضه ، وجودة مائه ، وطلاقة جوه ، واعتدال مناخه وهذا ما دعاه لوصفه ، ولم ير جمالا يشبهه إلا ما تكتسيه (ولادّة بنت المستكفي) التي عشقها ، ومنحها كل هواه .

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله

كأنه رقّ لي فاعتلّ اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم

كما شققت عن اللبات أطواقا

أما شعراء الصحراء فلم يتحدثوا عن الرحلة ووصفها وبعد المسافة وسير الناقة القلوص والوقوف على الأطلال وذكر الديار والمنازل ، فليس هناك شيء يوصف على الطريق إذ المنظر كله رتيب على وتيرةٍ واحدةٍ ، فامرؤ القيس ورحلته الطويلة يتحدث فيها عن مطيته فيقول :

على لا حبٍ لا يهتدي بمناره

اذا ساقه العود النباطي جرجرا

على كـــل مقصور الذنابى معـــاود

بريد السرى بالليل من خيل بربرا

ويذكر الآخر الديار ، ويقف على الآثار متسائلا باكياً فيقول :

قف بالديار فهـــذه آثارهـــم

بنـــك الأحبـــة حسرة وتشـــوقا

كـــم وقفت بهـــا أسائـــل مخبـــرا

عن أهلهـــا أو صـــادراً أو مشفقا

فأجابني داعـــي الهوى في رسمها

فارقت من تهوى فعزّ الملتقى

أما المكفوفون من الشعراء فلم يتعرضوا للوصف إلا نادراً إذ لم يعرفوا المناظر الجميلة ، ولم يروها فيتأثروا بها فتجود قرائحهم بالشعر والوصف لجمال الطبيعة والوقوف على الأطلال إلا قليلا ، ولكن تنطقهم الحكمة ، ويحرّكهم اليـــأس أو يجرّهم ذلك الى الفخـــر ولننظر الى قصيدة أبي العلاء المعري التي مطلعها :

ألا في ســـبيل المجـــد ما أنا فاعـــل

عفاف واقـــدام وحزم ونائـــل

وإن الطموح يدفع الى المديح ليحصل على ما يطلب .... فالمتنبي الذي كان يطمح بالحصول على ولاية اتخذ كل أساليب المدح تاركاً وراء

ظهره كل ما يقتنع به وما يعتقد في سبيل الحصول على ما يريد • فمدح كافوراً ، فلما لم يظفر بما يرغب عاد فهجا ممدوحه مر الهجاء :

من علم الأسود المخصي مكرمة
أقومه البيض أم آباؤه الصيد

أم أذنه في يد النخاس دامية
أم قدره وهو بالفلسين مردود

لا تشتري العبد الا والعصا معه
ان العبيد لأنجاس مناكيد

وقد نسي كل مديح أمام هذا الهجاء الذي سرى بين الناس جميعاً• وذهب المتنبي الى الدولة الحمداني في حلب في شمالي بلاد الشام، ومنحه حبه وأحسن قصائده مما رفع شأنه •

وقفت وما في الموت شك لواقفٍ
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

ولكنه لم يظفر إلا بما ظفر به عند كافور ، وكان أثناء مدحه وهجائه لا ينسى نفسه أبداً من الفخر ، ينعت نفسه بكثير من الصفات والمؤهلات

التي تتوفر عند القـادة والزعماء والفرسان ، ويتخلل ثنايا القصـائد حكم رائعة .

أنا الـذي نظر الأعمى الى أدبـي
وأسمعت كلمـاتي من بـه صمم

أنـام مـلء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقاتل الله الفقر الذي يدعو الى الحاجة ، وبذل النفس والاستجداء حتى يصبح لا يؤلمه الطلب ولا يرغب في التعفف ، فكم من شاعر اتتقل المسافات الطوال يتكسب بشعره ، يمدح الملوك والأمراء لينال المال بعد أن يريق ماء وجهه فلننظر الى جرير الشاعر المشهور الذي كان يميل الى عبد الله بن الزبير ينتقل بعد مقتل ابن الزبير الى عبد الملك بن مروان يمدحه ويطلب منه المال .

تعـزّت أم حـزرة ثـم قالت
رأيت الواردين ذوي امتنـاع

تعلّـل وهـي سـاغبة بنيهـا
بأنفاس من الشبم القـراح

سأمتاح البحور فجنبيني

أذاة اللوم وانتظري امتياحي

ثقي بالله ليس له شريك

ومن عندي الخليفة بالنجاح

أغثني يا فداك أبي وأمي

بسبب منك انك ذو ارتياح

والشعراء ذوو نفسيات مرهفة وحس دقيق تؤثر بهم النوازل فتهد من أجسامهم ، وتحط من معنوياتهم . وتكون قصائدهم صورة معبّرة عما يختلج نفوسهم ، فلننظر الى الخنساء يرثي أخاها صخراً ، وقد قتل :

يذكرني طلوع الشمس صخرا

وأذكره لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكين مثل أخي ولكن

أسلي النفس عنه بالتأسي

ولنستمع الى أبي ذؤيب الهذلي وقد فجع بأولاده :

أمن المنون وريبها تتوجع

والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً

منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

فأجبتها أما لجسمي إنه

أودى بنيّ من البلاد فودعوا

أودى بنيّ فأعقبوني حسرة

بعد الرقاد وعبرة ما تقلع

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم

فتحزموا ولكل جنبٍ مصرع

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم

واذا المنية أقبلت لا تدفع

واذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع

وتجلدي للشامتين أريهم

أني لريب الدهر لا أتضعضع

لا بـد ّ من تلف ٍ مقيـم فانتظـر

أبأرض قومك أم بأخـرى المضجع

لا بـد ّ أن يأتي عليك مـرة

يُبكى عليك مقنعـاً لا تسمـع

كم من جميع الشمل ملتئم الهوى

كانـوا بعيش ٍ ناعم فتصد ّعوا

ولنستمع الى بعض أبيات من قصيدة طويلة لابن الرومي وقد فجع بابنه الأوسط .

توخّى حمام المو ت أوسط صبيتي

فلله كيف اختار واسـطة العقـد

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر لـه

ولو أنـه أقسى من الحجر الصـلد

ولنستمع الى محمود سامي البارودي وقد أصيب بزوجه :

لا لوعتي تـدع الفؤاد ولا يـدي

تقـوى عـلى رد ّ الحبيب الغـادي

يا دهـر فيـم فجعتنـي بحليلة ٍ

كانت خلاصة عـدتي وعتـادي

ان كنت لم ترحم ضناي لبعدها

أفلا رحمت من الأسى أولادي

أفردتهن فلم ينمن توجعاً

قرحى العيون رواجف الأكباد

يبكين من وله فراق أحبة

كانت لهن كثيرة الاسعاد

فخدودهن من الدموع ندية

وقلوبهن من الهموم صوادي

وقد يرثي الشاعر نفسه ، إذ يبكي على شبابه ، ويندب أيامه إن ألمت به حادثة أو أصابه مرض ظنه مرض الموت ، فيرثي نفسه ، ويبكي على حاله ، ولنستمع الى مالك بن الريب وقد شعر بدنو أجله ، وهو بعيد عن دياره ، غريب عن وطنه ، بينه وبين أهله المسافات الطويلة .

تفقدت من يبكي عليّ فلم أجد

سوى السيف والرمح الرديني باكيا

وبالرمل منا نسوة لو شهدنني

بكين وفدين الطبيب المداويا

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي

وباكية أخرى تهيج البواكيا

صريع على أيدي الرجــال بقفرةٍ
يسوون لحدي حيث حُمّ قضائيا

ولمــا تراءت عنــد مروٍ منيتــي
وحــلّ بها سقمي وحانت وفاتيا

أقول لأصحابي ارفعوني فانّنــي
يقرّ بعيني أن سهيل بداليــا

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابيــةٍ انــي مقيــم لياليــا

أقيما عليّ اليــوم أو بعض ليلةٍ
ولا تعجلاني قـــد تبــين شــانيا

وقوما اذا ما اســتل روحي فهيئا
لي السدر والاكفان ثم ابكيا ليــا

وخطّا بأطراف الأســنة مضجعي
وردّا على عينــيّ فضل ردائيــا

خذاني فجرّاني ببردي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعباً قيــاديا

وقد كنت عطّافاً اذا الخيل أحجمت

سريعاً لدى الهيجا الى من دعانيا

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني

وأين مكان البعد الا مكانيا

غداة غدٍ يا لهف نفسي على غد

اذا أدلجوا عني وأصبحت ثاوياً

وأصبح مالي من طريف وتالدٍ

لغيري وكان المال بالأمس ماليا

اذا مت فاعتادي القبور فسلمي

على الرمس أسقيت الغمام الغواديا

ولنستمع الى أبي فراس الحمداني يرثي نفسه ، ومخاطباً ابنته :

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام الى ذهاب

نوحي عليّ بحسرةٍ من خلف سترك والحجاب

قولي اذا كلمتني فعييت عن ردّ الجواب

زين الشباب أبو فراسٍ لم يمتّع بالشباب

وتلعب الدول والأوطان دوراً كبيراً ، فاذا حلّ بها شيء انطلق الشعراء يهتفون باسمها، فها هو خير الدين الزركلي يبكي لما حلّ بوطنه:

وطنـــي طـــال بكائـــي والأســى ممـــا عراكـــا

أترى تصفـــو سمائي وكمـــا أهوى أراكـــا

حاولوا مسّك بالسو ء وهمّـــوا بـــأذاكـــا

أفبعـــد العـــزّ والمنعـــة يبغـــون حماكـــا

وإذا استقلت البلاد بعد خضوع وتخلصت من دخيل ، تحركت المواهب ، وانطلق اللسان عـلى سجيته بالقصيد المؤثر ، فلنستمـع الى بدر الدين الحامد وهو يرثي بلاده ــ سورية ــ وما حلّ بها من هوان ، ثم يفرح لاستقلالها ، ويرى أن الحزن قد أصبح في الذكريات .

أي آفاقك لـــم يقطـــر دمـــا

يا ديـــاراً جرّعوهـــا العلقمـــا

كلمـــا لاح لعينـــي شـــفق

خلت فيـــه الدم أرضاً وسما

يا فؤادي كـــم شـــهيد في الثرى

كان مـــلء العين قلباً وفمـــا

في الميـــادين عـــن الحـــق رمـــى

لا يبالي حتفـــه حتـــى ارتمـــى

بالنجيـــع الأحمـــر التف فما

غـــيره يستر منـــه الأعظمـــا

ذكـريات خالـــدات بئسما

يحفظ التاريخ منها بئسما

لن تعودي لن تعودي أبــداً

عهدك الدامي مضى وانصرما

وتحرّك الفروسـيـة كمائن النفس ، وكــل يعمــل على شاكلته ، فالخوارج ــ حسب زعمهم ــ يطلبون الجنة ، والموت في سبيلها غاية ، فها هو قطري بن الفجاءة يقول :

فصبراً في مجـال المـوت صبراً

فمــا نيــل الخلود بمستطاع

سبيل الموت غاية كل امرئٍ

فداعيــه لأهــل الأرض داع

ويقول أيضاً ، وقد استمر المهلب بن أبي صفرة بمتابعتهم وملاحقتهم من مكان الى آخر .

حتى متــى تخطئني الشــهادة

والمــوت في أعناقنــا قــلاده

ليس الفرار من الوغى بعاده

يا رب زدني في التقــى عبــاده

وفي الحياة بعدها زهــاده

أما أبو فراس الحمداني فهو قائد من قواد دولته ، وفارس من فرسانها المعدودين ، فاذا انتصر فانتصار أسرته التي تقوم على الدولة ، فهو ينافح عن إمارة بني حمدان بالسيف ، ثم يعود لينافح عنها بالقلم ، وقد أسر وسجن في حصن خرشنة فقال :

ان زرت خرشنة أسيراً ... فلقد حللت بها مغيرا
ولقد رأيت النار ... تلتهم المنازل والقصورا
من كان مثلي لم يبت ... الا أسيراً أو أميرا
ليست تحلّ سراتنا الا ... الصدور أو القبورا

والشاعر بعد كل هذا ينتقل من غرضٍ عرف به الى غرض آخر يخالف ذلك فالمتنبي مع طموحه وترفعه وطلب الولاية والعلا والفخر بنفسه مع ممدوحه قد يطلب المال ويريد الجزاء صراحة ، وان كان بفخرٍ واعتزازٍ ومنة على الممدوح أحياناً .

وما أنا الا سمهريّ حملته
فزيّن معروضاً وراع مسددا

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يسير مشمراً
وغنّى به من لا يغني مغردا

أجزني اذا أنشدت شعراً فانما
بشعري أتاك المادحون مرددا

وكلما حلّ بالبلاد شيء هزّ كيان الشعراء ، وإن كان مفهوم البلاد يختلف من شاعرٍ الى آخر حسب فكرته التي ينادي بها أو غايته التي يسعى اليها فمنهم من تقتصر البلاد عنده على مفهوم ضيق لا يتعدى المصر الذي يعيش فيه ، ومنهم من يتجاوز ذلك الى البلاد العربية ، وبعضهم تشمل العالم الاسلامي كله ، وهم أصحاب الفكرة ، وان كانت هناك قضايا عالمية تهز المشاعر بعامة ، وتعدّ انسانية . فاذا تسلم حكم البلاد وضيع كال له الشعراء الذم وبخاصة إن كانت هناك تأثيرات غريبة، فالبارودي يسخر من تسلم أمور الدولة الى أمثال رياض باشا فيقول :

أبى الدهر الا أن يسود وضيعه
ويملك أعناق المطالب وغده

اذا المرء لم يدفع يد الجور ان سطت
عليه فلا يأسف اذا ضاع مجده

وأقتل داءٍ رؤية العين ظالماً
يسيء ـ ويتلى في المحافل حمده

ويتوعد البارودي أيضاً الخديوي توفيق نفسه فيقول :

يا أيها الظالم في ملكه
أغرّك الملك الذي ينفد

اصــنع بنــا ما شئت من قسوةٍ

فالله عــدل والتــلاقي غــد

وحدثت الثورة في الجزائر ضد الفرنسيين فكانت القصائد سجلا حافلا للتاريخ ، وإن كان كل شاعر قد نظر اليها من وجهة نظره الخاصة، فمنهم من عدّها عربية ، ومنهم من نظر اليها نظرة إسلامية فهي نوع من الجهاد والقتال في سبيل الله . فمحمد منلا غزيل يقول :

هناك بالشمّ من أوراس أبطال

لله لا في سبيل المجد قــد صالوا

ومنهم من نظر اليها من وجهة نظر عاطفية ...

ومن قبل ألهبت حــادثة « دنشواي » في مصر المشــاعر فانطلق الشعراء شوقي وحافظ وغيرهم يلهبون الحماس ، ويثيرون الهمم .

بنات الشوق بالنفحات جــودي

فهــذا يوم شــاعرك المجيــد

قتيل الشمس أورثنا حيــاة

وأيقظ هاجع القــوم الرقــود

فليت « كرومراً » قــد دام فينا

يطوّق بالسلاسل كــل جيــد

ويتحف مصر آناً بعد آنٍ

بمقتول ومجلود شهيد

وفلسطين اليوم مجال لكثير من الشعراء ففيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وهي مركز هام بالنسبة لبلاد العرب بخاصة وللعالم الاسلامي بعامة •

وتوحدت بعض الأمصار العربية مع بعض فكانت كذلك مناسبة طيبة لكثير من الشعر •

هذه أكثر أغراض الشعر ، وأكثر فنونه ، وأكثر ما يذكيه ، وأغلب ما ينمّيه ، وأفضل ما يقوّيه ، وأعظم ما يزيده ، وأروع ما يزينه ، وأنبل ما يشجعه • أما الشعر في عسير فله وضع خاص متميز ينفرد به دون سواه ، ويمتاز عن غيره •



الشعر في عسير

يمتاز شعر عسير المعروف والمتداول بغرضين اثنين وهما :

١ ـ شعر سياسي :

وقد وجد وعلا شأنه في المدة المحصورة بين عام ١٢٣٣ هـ بعد أن سقطت « الدرعية » قاعدة الدولة السعودية الأولى بيد قوات « ابراهيم باشا » بن والي مصر « محمد علي باشا » وقائد عسكره ، فأصبحت عسير البقعة الوحيدة التي تمثل الدعوة السلفية في جزيرة العرب ، وبخاصة أن أهلها قد تمكّنوا من طرد المصريين والعثمانيين من أراضيهم بعد عام ١٢٣٩ هـ ، وأصبحت عسير دولة ذات منعة ، وبلغت أزهى قوتها في عهد « عائض بن مرعي » الذي كان رأس أسرة حكمت عسير مدة من الزمن ، وعهد « محمد بن عائض » ، واستمرت هذه المدة من نشاط الشعر حتى عام ١٢٨٨ هـ حيث استطاع العثمانيون أن يعودوا الى المنطقة ، وأن يقضوا على إمارة « آل عائض » ، ويقتلوا أميرهم « محمد ابن عائض » . واستمر الشعر السياسي بعد ذلك مدة بسيطة ولكنه انتقل الى المنفى مع « آل عائض » و « آل الحفظي » في استانبول ، وانتهى عهد الشعر السياسي حوالي عام ١٣٠٠ هـ .

٢ ـ الشعر الوصفي :

وقد ساد في كل الأوقات تقريباً على مر الزمن عدا المدة المذكورة سابقاً حيث طغى عليه الشعر السياسي ، ويعود الشعر الوصفي الى جمال المنطقة وما فيها من مناظر خلاّبة .

وسنتحدث عن كلا الغرضين مستشهدين ببعض القصائد المعروفة.

- ١ -

الشعر السياسي

منذ أن دانت جزيرة العرب بالاسلام كانت « عسير » جـزءاً من الدولة الاسلامية الواسعة ، فلا ينظر اليها نظرة امتياز ، ولايخشى جانبها خشية إرهاب ، لم تكن مركزاً ادارياً أو حاضرة عامرة ، ليس فيها من المدن الكبيرة ما يجعلها نقطة التقاء أو قاعدة تجمع لعدد من الشعراء ، واستمر ذلك الوضع حتى زالت دولة بني أمية وقامت دولة بني العباس التي طاردت فلول الأمويين ، ففر الى عسير أحد وجهاء بني أميـة من الأسرة السفيانية ومن أحفاد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، واستقر فيها خائفاً يترقب ، دون أن يعلم أحد حقيقته ، ومن غير أن يظهر هويته ، ولكنه بعد مدة استطاع أن يتسلم أمر شؤونها ، واغترّ بمـا حصل عليه ، فأراد أن يظهر في منطقته ويستعلي على الدولة العباسية ، إلا أن الدولة قد قضت عليه بجيشٍ كان في الوقت نفسه متجهاً الى اليمن ليخمد حركة فيها • وخبا ذكر الأسرة « اليزيدية » حيناً من الدهر ، ثم لم يلبث أن عاد ، ولكنه عاد ليكتفي الزعماء بحكم المنطقة ، فكان « آل يزيد » يسيطرون على عسير ، ولكن جيرانهم من كل جهة كانوا يطمعون بهم ، فان رأوا قدرة في أنفسهم وقفوا في وجههم وردّوهم على أعقابهم خاسرين ، وإن لم يجدوا ذلك عقدوا معهم معاهدة ، وفي أحيان قليلةٍ خضعوا لهم اسمياً ، وسيّروا المنطقة وأمورها باسمهم ، ولكن بعد مدة يسيرة يعاودون سيرتهم القديمة بعد أن تعود اليهم قوتهم •

استمر ذلك الأمر حتى قامت الدعوة السلفية في نجد ، وبدأت تمتد الى عسير ، وينتقل طلاب العلم من عسير الى « الدرعية » ينهلون من علم الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » وتلامذته ، إلا أن حكام عسير من « آل يزيد » قد وقفوا في وجه الدعوة خوفاً على مصالحهم ، ولكنه في الوقت نفسه كان أفراد آخرون من الأسرة بالذات من قادة حملة هذه الدعوة •

اصطدم الحكام مع الدعوة ، وقُتل أمير عسير محمد بن أحمد من آل يزيد ، وتسلّم الزعامة حملة الدعوة السلفية من « آل المتحمي » من قبيلة « ربيعة ورفيدة » ، وكان بجانبهم آخرون من آل يزيد •••• وفي هذه المدة ارتفع شأن الدعوة السلفية في نجد ، وعلا أمرها ، وعمّت أكثر أرجاء الجزيرة العربية ، وإذا كان مركزها الأول نجد ، فان مركزها الثاني كان عسير ، ومع هذا فان عسير لم تكن سوى منطقة تابعة لنجد تأتمر بأمرها وتنفذ تعاليمها •

تحرك والي مصر « محمد علي باشا »وبتعليمات من « استانبول » يعمل ضد هذه الدعوة ،واستطاع بعد حروب دامت سبع سنوات أن تدخل جيوشه بقيادة ابنه الكبير « ابراهيم باشا » الدرعية عام ١٢٣٣هـ ، وفي الوقت نفسه استطاع هو أن يدخل عسير ، وأن يأخذ أميرها « طامي بن شعيب » ثالث أمراء « آل المتحمي » أسيراً ، حيث حمله معه الى مصر مقيداً ، ومن هناك نقل الى استانبول حيث شهّر به في الأسواق ثم ضربت عنقه عام ١٢٣٢ هـ • ولكن عسير لم تخضع إذ قامت بحركات عديدة ، فشلت بعظمها لأن « ابراهيم باشا » كان قد دخل الدرعية ، وتفرّغ لعسير ، فأرسل قوات دخلت المنطقة ، وأخذت أمير عسير « محمد بن أحمد » رابع أمراء « آل المتحمي » أسيراً ، ونفته وابنه مداوي الى مصر •

لم تستكن عسير على الرغم من هذا ، وقامت تقاوم المصريين والعثمانيين ، وقد آلت زعامتها مرة ثانية الى « آل يزيد » ، حيث أصبح « سعيد بن مسلط » أمير البلاد ، وهو من حملة الدعوة السلفية ، وذلك منذ عام ١٢٣٣ هـ ... وهكذا انقطع حكم « آل يزيد » للمنطقة مدة ثمانية عشر عاماً فقط (١٢١٥ — ١٢٣٣ هـ) .

بقي المصريون في عسير مدة ستة أعوام (١٢٣٣ — ١٢٣٩ هـ) ، وكان بقاؤهم موقتاً ، يدخلون المنطقة ، ويظهر السكان الخضوع ، وما إن تتحرك القوات الغازية للعودة حتى تنقضّ القبائل العسيرية ، وتفتك بالحامية ، تحت قيادة أميرها « مسعد بن مسلّط » الذي يتسلم الأمر .

استقلت عسير عام ١٢٣٩ هـ ، وكانت هذه المرحلة تاجاً في غرة تاريخ البلاد ، وتصبح عسير المركز الأول للدعوة السلفية ، إذ أن الدرعية قد هدّمت ، وجند العثمانيين والمصريين في نجد ، والأسرة السعودية مفككة يقاتل بعضها بعضاً ، وعسير المنطقة الوحيدة المستقلة فتتجه نحوها الانظار ، وبخاصةٍ عندما يؤول الحكم فيها الى « عائض بن مرعي » وولده « محمد بن عائض » ، وهنا يبدأ الشعر السياسي واضحاً ، ولنأخذ بعض القصائد شاهدة على ذلك التاريخ ، وعلى تلك الفترة الزاهرة ، إذ كانت لكل مناسبةٍ قصائد طويلة تخلّدها .

١ — دخل شريف مكة « محمد بن عبد المعين بن عون » عسير ، ومعه جند من الترك والمصريين ، وفرّ « سعيد بن مسلط » ، واعتصم بالأطوار ، وبايعت قبائل عسير « ابن عون » على كره ، وتدخلت « رجال ألمع » ، وتوسّط أحد وجهائها وهو « ابراهيم بن عبد الله بن عبد المتعالي » من بني قيس إحدى قبائل عسير للصلح بين « ابن عون » و « ابن مسلط » فتمّ ذلك عام ١٢٣٨ هـ .

ترك « ابن عون » حامية له في « طبب » للأمن والدفاع ، وخرج

مستنهضاً قبائل عسير للغزو معه ، وتأخر « ابن مسلط » بجنده لحادث اعترضه ، فلما وصل الى المكان المحدد سمع كلاماً قاسياً من « ابن عون » فلم يستطع تحمله ، فانتظر حتى إذا تحرّك الجيش انسل بمن معه ، وعاد مباشرة الى « طبب » ، وهجم على حاميتها فأبادها ، وأعلن استقلال المنطقة ، فلما وصل الخبر الى « ابن عون » عاد مسرعاً ، ولكنه لقي الهزيمة المنكرة أمام قبائل عسير ، فكان هذا الانتصار مجالا لشعر كثير ، ومنه قصيدة « ابراهيم بن أحمد الحفظي » المتوفي عـام ١٢٥٧ هـ ، والمعروف باسم « الزمزمي » ، قالها مهنئاً « ابن مسلّط » بهذا النصر المؤزر ٠

ألا انـي أُهنـي للأمـير
بنصر الله والفتـح الشـهير

وذاك عليـه بـل وعـليّ من
جسيم حقـه شـكر الشكور

فللـه الثنـا ولـه سـألنا
دوام الشـكر في كل العصور

فانّ الشـكر للموجود قيـد
وصيد أوابد النعـم النفور

ودونك يا رفيـع القـدر مني
وفيمـا فيـه شـطر من شـعير

اذا مــا كــان مبنــاه ركيــكا

فمعنــاه رصــين للخبــير

هداك الله ان النصــح حــق

لربــي والرعيــة والأمــير

وللقــرآن حق النصــح منــا

لنصح المصطفى البدر المنير

وقد ندب الكتاب الى التواصي

لنــا بالحق والصبر الأخــير

فهاك من النصائح ما تسنى

فألق الســمع مــع قلب حضور

فلست بســائلٍ في ذاك أجــراً

سوى من عند وهّــاب الأجور

وحظهم بالنصيحة جــاهداً لا

تغش لعــال جنــدك والحقير

فقد جــاء الوعيد لكل وال

اذا ما مات مــع غش النفير

وجربا[1] ما وليت أهنا وداو المـ

ـريض وردّ الاول للاخير

وخذ للمال من حل وفي حقـ

ـه ضعه فذا دأب البصير

ولا تمنعه من هو مستحق

وأنت بذاك تظهر للسرور

وانك ان سألت عن الهدايا

لمثلك قد سقطت على الخبير

فان هدية الأمرا غلول

فلا تغلل لمغلول يسير

كذا العمال ان غلولهم في

زماني صار أشهر من تبير[2]

كأني بالشقي اذا أتى في القيـ

ـامة بالشويهة والبعير

---

(1) أي الرعية .

(2) جبل بمكة .

فــذي تثغــو وذا يرغي وكــل

على العنــق الضـعيف بلا ظهــير

ومن يغلل بما قد غــل يأتي[1]

كذا عقــد لحبــات الشــعير

ومن جلساك أن ينهــوا اليــك

الحوائــج للأرامــل والفقير

ومن لا يستطيع بــلاغ حاج

اليك يثبتوا حــين المــرور [2]

وقرب منك أهل الدين وأبعــد

عن الاضــداد لا سيما الختور

وحاذرهــم فــان الطبــع لص

وهل أبصرت ذا جرب ثوير[3]

يصــح اذا دنا منــه ســليم

وقد يفضي السليم الى الشرور

---

(١) كما في الآية « ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة » ٠
(٢) على الصراط **كما أشار اليه الحديث ٠**
(٣) أي ثائر ٠

وفكر في ابتدائك وانتهاء
وكرب النزع والخطب الخطير

وسلب الروح قهرا أو رضاء
ويبقى الجسم كالعود النخير

فيغسل ثم يدرج في ثياب
ويبدل بالقبور عن القصور

ويسلمك الشفيق ببطن قبرٍ
وحيدا لست تدعى بالأمير

رهينا بالذي قارفت عمداً
من الأوزار في دار الغرور

وايقن أن ستسأل قاعداً
ضريحك بانتهار مستطير

فأعدد للجواب وقل الهي
قني أهوال منكر والنكير

ولا تنس القيام اذا حشرنا
وقمنا مهطعين من القبور

يشـــابهنا الجـــراد اذا نشـــرنا

حيارى مثل شُرّاب الخمور[1]

وأهـــوال القيـــامة هائـــلات

نشاهدهن في اليـــوم العسير

فميـــزان لأعمـــال وعـــرض

وقـــد ظهرت خبيـــات الأمور

ولا تنس الصراط وما حواه

من الحسك الخواطف في المرور

وينصب فوق متن النـــار عوذا

بوجـــه الله من لهب السعير

ومـــن أنـــكالهـــا وســـلاسل لا

تطـــاق ومن مقـــامع للفجور

ألا فتيقظـــوا يا نـــاس مهمـــا

بقت مندوحـــة في ذي الدهـــور

وبالماضين فاعتبروا تفوزوا

فيـــا ســـعدا لأرباب العبـــور

★ ★ ★

(١) اشارة الى قوله تعالى (وترى الناس سكارى الآية) .

وعينــكم الأمير حبـاه ربـي

وعـوفي في الحيـاة وفي المصـير

(سعيد) طابق الاســم المسمى

وشاهد ذا الفتوح مع النصور

عليـه تحيـة تغشـاه منى

دوامـا بالأصيـل والبـكور

ومن قـد ضمه سمط اصطحاب

على التقوى فبـورك من وزير

ودونـكها تعض أنامـلا من

حيـاها اذ بدتـكم من غـرير

تؤمل منـكم صفحـا وسترا

وختـم النظم حمدي للشكور

كـذا الصلوات والتسليم تترى

على (طه) وعترتـه البـدور

سيّر عباس الأول بن طوسون عام ١٢٦٨هـ عشرة آلاف جندي
نظامي من مصر الى جبال عسير ، فهزمت هزيمـة منكرة أمام رجـال

القبائل الذين هبّوا للدفاع عن منطقتهم بامرة قائدهم « عائض بن مرعي » ، وانتصروا على الغزاة في عدة وقائع فكان هذا النصر سجلا خالداً ، وانطلق الشعراء بقصائدهم ، التي من أشهرها قصيدة « علي بن الحسين الحفظي » المتوفى عام ١٢٧٥ هـ ، وفيها يقول :

أيا أم عبد مالك(١) والتشرد
ومسراك بالليل البهيم لتبعد

ومأواك أوصاد الكهوف توحشا
ومثواك أفياء النصوب وغرغد(٢)

وما جاوزت ساقاك من سفح رهوة(٣)
وأشعافها ما بين عال ووهد

ومسراك من ذات العميق وكوثر(٤)
ونهران مزور القذال المبلد

---

(١) هي أم عبد الله بن مسعود من غافل الهذلي كانت وطفلها مسعود مع أمها هنه بنت عبيد بن الحارث القرشي بأرض هذيل وقد جرت عادة الاقدمين من شعراء العرب بذكر أم معبد (وأم عبد) في مناسبات مختلفة ولذلك حذا شاعرنا حذوهم .

(٢) شجر عظام أو هي العوسج .

(٣) رهوة السقا قرية منيعة في أعالي جبال تهلل مما يلي ذات العميق .

(٤) اسم جبل .

وما السر ان أبدلت قصرا مشرفا
وعرشا وفرشا بالفرى والتلدد

فما مثل هذا منك الا لضيقة
من العيش أو من سوء أخلاق معتدي

★ ★ ★

فقالت رويدا يا أبا عبد انما
أضاق بنا ذرعا شديد التوعد

عرمرم جيش سيق من مصر معنفاً
يهتك أستار النساء ويعتدي

ويسبي ذراري الاكرمين جبارة
وينظم سادات الرجال بمقلد

★ ★ ★

فقلت لها من دونكن ودونهم
ضروب حماة بالحديد المهند

وضرب يزيل الهام عما ربت به
ويظهر مكنونات أجواف أكبد

وطعناً تــرى نفــذ الاسنة لمعــا

من قومٍ يعــوي حرجها لــم يســدد

قفــي وانظري يا أم عبــد معــاركا

يشيب لهــا الولدان من كــل أمــرد

وان كنت عنهــا في البعــاد فسائلي

ففيهــا أسود من مغيــد(١) بمرصد

وفيها ليوث الأزد(٢) من كل شيعــة

يصالون نــار الحرب حزنــا لمفســد

وفيها رئيس (عائض) حول وجهه

حياض المنــايا أصــدرت كــل مورد

خليفــة عصــر للحنيفــي مثقف

لمــا اعوج منــه في حجــاز وأنجــد

★ ★ ★

---

(١) اسم قبيلة من عسير معروفة مشهورة من قبائل عسير السراة الاربع .

(٢) يريد أزد شنوءه واليه ينتسب الاغلبية الساحقة من عسير ورجال ألمع الذين عناهم الشاعر .

فيا لك من يوم الحفير(١) وما بدا
لريدة من طول الغمام مشيد

ويا لك من يوم اللحوم سباعه
شباع وطير الجو تحظى لمشهد

ويا لك من أيام نصر تتابعت
بها من شواظ الحرب ذات التوقد

تطامت (رقاب الروم) فيها عيوقها
كما عاق دود للجراد المقدد

فاضحى جثاثا في البقاع مركما
تزعزعه ريح العشية والغد

ويا لك من يوم المرار(٢) لواؤه
تقنع بالصرعى به كل مقعد

★ ★ ★

(١) الحفير جبل حرملا وريده قرية في بلاد بني مغيد ·

(٢) أسم جبل فيه بعض قرى لبني قيس من رجال ألمع ·

تخرمها نحر الهجير وانها
لتعهد منه فرى ناب ومفصد

فيا عجبا من في حبضّى[1] وما دنا
لوادي (كسان)[2] من قتيل مسنّد

وفي ربوة الشعبين[3] داهية أتت
عليهم فما أغنى دفاع بعسجد

ويوم المقضّى[4] قد تقضّت أمورهم
بفاقرة الظهر التي لم تضمّد

ومن قبل ذا يوم العزيزة عزهم
دليل بضرب المشرفي المجرّد

كتائب فيها ضرموا ثم غودروا
بأشلائهم قاني الدماء المكنّد

بأيدي رجال من شنوءة صرعوا
رقى بهم مجدا الى حذو فرقد

---

(١) حبضى اسم عقبة بين الصليل والقارية في بلاد بني جونه من رجال ألمع.

(٢) كسان : وادي في بلاد رجال ألمع.

(٣) الشعبين تثنية شعب قرية تعتبر حاضرة بني قطبه من رجال ألمع وبها دار الامارة.

(٤) المقضي والعزيزة اسم قريتين من بلاد بني مفيد.

تداعـــى عليهـــم من صميم أصولهـــا

ثبـــات وجمــــع كالمحيط المزبـــد

ففاخر بهم يا خاطبا فـــوق منبر

على الناس فاقـــوا بالحسام وســـؤدد

ليهنأ بنـــي قحطان مجـــد فخـــارهم

مدى الدهر في نادي بـــواد وأبـــلد

فيـــا راكبـــا امـــا لقيت ببيشـــة

وما دفعتـــه من ضراب وفـــدفـــد

فسلم على قبر ابن شكبان سالم)[1]

فقـــد كان قُدماً قادما كـــلّ ســـيّد

يحـــامي على التوحيد حتـــى عرى له

من الحتـــف كأس جرعـــه ذو تـــردد

ومر على أجزاع (ضلفع)[2] قف بها

قليلا وما يغنيـــك عن ضرب مبعـــد

---

(١) سالم بن شكبان من مشايخ قبيلة بيشة ٠

(٢) ضلفع اسم جبل يبعد عن رنيه ستين كيلو مترا تقريبا ، ويقع في الجهة الشرقية الجنوبية بملتقى وادي بيشة ورنية ٠

على ظهــر قبّـــاء الكلــي لا يريبهـــا
حفـــا حــزن منجــاة قفـــر منكد

تثر الحصـــا بالخف كالحذف قبلهـــا
وقــد ضاق همـــا صدرها للتبعد

كما فر من (عين برملان) وحشـــه
يجفـــــله قنّاصـــه بالترصـــــدّ

توسّمت الوسمى(1) أمّا بكــوره
فمن نقــأ الدهناء سعدانها النــدى

وأما ثوانيـــه فـــان زال ظعنهـــا
فمن (حضن) حتى (الرشاء) الممهد

تعللهـــا منــــه غــواد فأشطـأت
بقول ورمث زهرهـــا ذو تطـــرد

فأضحت تســـامى في ســـنام كأنهـــا
بخــدٍ تليـــع الهضب عالي التصعد

★ ★ ★

(1) الوسمى : أول المطر ·

فقل (لمعدٍ) لا تغرّ بسرحها
فتلقى كماة الحي جنبا بموعد

بسمر العوالي والمواضي دونها
ومبيض موضون الحديد المسرد

★ ★ ★

وأما اجازتك (الدخول فحوملا)
(فصبحا)(فعرضا)(فالسراديح)فاعتدي

وسقها على نجد يؤمك ليلها
بنات نعشٍ والضحى فيه تهتدي

وان خلأت يوما لشحط مزارها
فأبدل بها عيناء ذات التعرد

ودعها عن التهجير حتى اذا رأت
ورودا يماء من صفار[1] فأورد

---

(1) (عين برملان) ، (حضن) (الرشاء) (الدخول) (حومل) (صبحا) (عرضا) (السراديح) أسماء مواقع ٠

وأشرف على وادي اليمامة[1] قائــلا
ودمعك سفّاحا عــلى الخــد والثدي

ســلام على عبــد العــزيز وشيخه
وتابــــع رشد للامـــــام المجــدد

دعا الناس دهــرا للهــدى فأجــابه
فئــام فمنهــم عالمــون ومقتــدي

وقفاهما حــذوا (ســعود) بســيفه
مميــز مجود النقــود من الردي

وعرج بها ذات اليمين وقــد هــوت
على عرصـــات للرياض بمقصــد

★ ★ ★

وناد بأعلى الصوت بشرى (لفيصل)
ومن نسل سادات الملوك مسدّد

اليـــك نظــاما نشــره في وقــائــع
على جحفل المصري قد شــدّ باليــد

(١) وادي اليمامة : وادي حنيفة التي تقع عليه الدرعية والرياض ٠

فعشرون ألفـا من قضى الله منهـم
فمـا بـين مقتـول وعـار مجـرد

ولـم ينج منهـم غير قـواد قومهم
عـلى صافنـات في قليـل معـود

كأن أنين الموقـين ومـن بـه
جـوارح رميـى قاصفـات لأعمـد

أنين معيـز زارهـا داؤهـا الـذي
بأكبادهـا أضنـى عليهـا ليعتدي

أو ساكني الأمصار قـد حـل فيهـم
عقاص فأصماهم على كل مرقـد

أتاهـم بهـا اذ غاب نجـم مشعشع
من الجـو في مغرابـه نحس أسـعد

فكل الـذي لاقـوه يحسب دون مـا
تعكّس من حـزم الهمـام المعمـد

★ ★ ★

فقـــل لدليـــل القـــوم هـــلا أفـــاده
من العلـــم ان البغيّ قتّـــال معتـــد

ومهمـــا أعادتـــه الأمـــاني لحربنـــا
نصـبنا لهـم أمثـالهـا بالمجـدد

★ ★ ★

ويا قافــلا أمــا ثنيــت زمامهــا
وأقبلت مــا اسـتدبرته للتعـود

ولاح سهيــل ضاحكا لك ثغــره
وقــد لمحتــه عينهــا مغلق الغــد

فسلّم على الاحبــاب تسليم موجــد
ولا تنس جــيران البجــير(١) بألحد

وآخــر قولـي وابتــدائي فيهــم
صــلاة وتسليما على خــير مرشد

وآل وصحب كلمــا قــال منشد
أيا أم عبـــد مالك والتشـــرد

---

(١) البجيري محلة من محلات الدرعية فيها المقبرة ٠

٣ ـ كانت القصيدة السابقة ذات صدى بعيد في أوساط الجزيرة كلها ، وكانت قد أرسلت الى الامام فيصل بن تركي في الرياض مع هدايا ، فتبارى الشعراء في الرد عليها من الرياض ، ومن أشهر هذه القصائد التي أخذت بعداً كبيراً قصيدة أحمد بن علي بن مشرف التي يقول فيها :

بشير سعادٍ جاء نحوك فاسعد
وقد وعدت وصلا فأوفت بموعد

لقد عرفت وقت المزار فأقبلت
اليك وقد نامت عيون الحسد

فجاءت تجر الذيل خشية قائف
لمعرفة الآثار بالحدس يهتدي

يؤرّج ترب الارض عرف عبيرها
وتهدي لسمع الصب وسواس عسجد

أتتك سحيراً والنجوم كأنها
دراري ترى في قبةٍ من زبرجد

فلما حوتها عرصة الدار سلمت
سلام حبيبٍ زائر ذي تودد

فقرّ بليل الوصل عينا وطالما

تبيت لذكراها بليلة أرمد

فتاة يريك الصبح غرة وجهها

ويبدو الدجى من شعرها المتجعد

ويعجب غصن البان ان هبت الصبا

له سحراً من قدّها المتميد

يريك ابتساما لامع البرق ثغرها

ويسفر عن شهد ودرٍ منضد

فقد جمعت كل المحاسن جملة

فلم يستطع تفصيلها من معدد

وفاقت جمالا كل هيفاء كاعبٍ

اذا ما مشت ما بين غيدٍ وخرّد

فعاص جميع العاذلين ولا تطع

بها كل واشٍ لائم أو مفنّد

فلو برزت يوما لغيلان(١) لم يهم

بميى ولم يبد القريض لمنشد

---

(١) غيلان الهائم بميى ، هو ذو الرمة أبو الحارث ، أحد فحول الشعراء ـ واسمه غيلان بن عتبة بن نهيس من بني عبد مناة بن اد بن طابخة بن =

ولو لمحت بالطرف طرفــة ما بكــى

لخولة أطــلالا ببرقيــة ثهمــد

لقــد أصبحت في الغــانيات فريــدة

كما انفــرد الوالي بحــزم وســؤدد

حليف المعالي (فيصل) ناصر الهدى

مذيق العــدا كأس الــردى بالمهنــد

ترى الوفد والاضياف من حول قصره

عكوفــا كورد حوما حــول مورد

فيصــدر كــل مدركــاً ما يرومــه

من الفضل والجدوى ومن كل مقصد

يقضــي ببــذل المكرمات نهــاره

ســماحا ويحيي ليــله بالتهجّــد

= الياس كان يتغــزل في ميى بنت مقــاتل بن طلبــه بن قيس بن عاصم النقري ، وكانت جميلة ، وهو دميم الخلق أسود اللون ، ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ، ولم يكن يراها ولا رأته قط وانما كانت تسمع بــه ويسمع بها ، ويقال إنها نذرت إن هي رأته ان تذبح جزورا ، فلما رأته قالت واسوأ تاه واسوأ تاه ولم تبدله وجهها الا مرة .

لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم
بعفوٍ واقدام وكفّ له ندي

وميراث مجدٍ ناله عن أئمة
سموا للعلا حتى استووا فوق فرقد

حنيفية[1] في دينها ، حنفية[2]
فأنسابهم تعزى لأفخر محتد

هموا نصروا التوحيد بالبيض والقنا
فنالوا المنى بالنصر كل موحد

وآووا اماما قام لله داعيا
يسمى بشيخ المسلمين محمد

★ ★ ★

لقد أوضح الاسلام عند اغترابه
وقد جد في اخفائه كل ملحد

وجدد منهاج الشريعة اذ عفت
فاكرم به من عالم ومجدد

---

(١) حنيفية : الشريعة الاسلامية السمحاء .
(٢) حنفية : بنو حنيفة احدى القبائل العربية ، وينتسب اليها آل سعود .

وأحيا بدرس العلم دارس رسمها
كما قد أمات الشرك بالقول واليد

وكم شبهةٍ للمشركين أزاحها
بكل دليلٍ كاشف للتردد

وألف في التوحيد أوجز نبذة
بها قد هدى الرحمن للحق من هدى

نصوصا من القرآن تشفي من العمى
وكل حديث للأئمة مسند

فوازره عبد العزيز ورهطه
على قلة منهم وعيش منكّد

فما خاف في الرحمن لومة لائمٍ
ولم يثنه صولات باغٍ ومعتد

وقفا « سعود » اثره طول عمره
الى حين وري في الصفيح الملحّد

وقد جاهدوا في الله أعداء دينه
فما وهنوا للحرب أو للتهدد

وكم غارةٍ شعواء شنّوا على العـدا

وكـم طارفٍ منهم حـووه ومتـلد

وكم سنةٍ أحيوا وكم بدعة نفوا

وكـم هدموا بنيان شركٍ مشيد

وقائعهم لا يحصر النظم عدّهـا

وان تسأل السمّـار عن ذاك ترشـد

وكـم لهـم من وقعـة شـاع صيتها

بهـا أيـد الرحمن سنة أحمـد

وكـم فتحـوا من قريـة ومدينـةٍ

ودانت لهـم بـدو وسـكان أبلد

وكم ملكوا ما بين (ينبـع) بالقنـا

وما بين جعلان(١) الى جنب مزبـد(٢)

ومن عـدن حتـى تنيـخ بأيـلة(٣)

قلوصك من مبـدا سهيل الى الجدي

(١) جعلان جبل في شمال الجزيرة .

(٢) مزبد يعني البحر .

(٣) أيلة : بلدة العقبة بين الحجاز والاردن .

وقد طهروا تلك الديار وطرّدوا
ذوي الشرك والافساد كل مطرد

بأمر بمعروف ونهيٍ عن الردى
وبالصلوات الخمس للمتعبد

وقد هدّموا الاوثان في كل قريةٍ
كما عمرت أيديهم كلّ مسجد

فكن ذاكرا فوق المنابر فخرهم
وناد به في كل ناد ومشهد

تغمدهم رب العباد برحمةٍ
وأسكنهم روض النعيم المخلد

★ ★ ★

ولا تنس ذا الحيِّ اليمانيّ انه
لشيعة أهل الحق بالحق مقتدي

قبائل من همدان أو من شنوءة
من الازد اتباع الرئيس المسود

همو قد حموا للدين اذ فلّ عضبه
وبدّد منه الشمل كل مبدد

فهم فئة للمسلمين ومعقل
وكهف منيع للشريد المطرد

سما للعلا حقا (علي)[1] ولم يزل
يروح بأسباب الجهاد ويغتدي

وكم عسكر للمشركين أبادهم
بحد الظبا والسمهري المسدد

وصيرهم صنفين ما بين هالك
وبين أسير بالحديد مصفدّ

وما زال يغزوهم ويرمي ديارهم
بفرسان حربٍ في الدلاص المسرّد

وفتح المخا[2] بالسيف للدين آية
وزجر وانذار لأهل التمرد

★ ★ ★

(١) هو علي بن مجثلّ من « آل يزيد » أحد حكام عسير من سنة ١٢٤٣ هـ الى سنة ١٢٤٩ هـ .

(٢) المخا ــ مدينة بها ميناء من مواني اليمن الكبيرة فتحها العسيريون سنة ١٢٥٠ هـ .

فلما تولى عاضنا منـــه عائض[1]

امـــام همـــام كالحســـام المجـــرد

فما زال يحمى بالسيوف حمى الهدى

ويردي العـــدا في كل جمـــع ومحشد

ويهزم منهم عسكرا بعـــد عسكر

ويضرب من هاماتهـــم كل قمحـــد[2]

فلما أتـــى الاحزاب منهـــم وألبـــوا

شفا النفس من أعـــداء دين محمـــد

فـــلا زال تأييـــد الالـــه يمـــــده

بنصر واســـعافٍ على كـــل مفسد

ودونكهـــا بـــكراً عروســـا زففتها

اليك تهـــادى في حـــرير وعسجد

تجشمت الأخطار شـــوقاً ولـــم تهب

وطيس هجـــير أو وغيٍ ذي توقـــد

(1) عائض : عائض بن مري أحد حكام العسيريين من سنة ١٢٤٩ هـ الى سنة ١٢٧٣ هـ .

(2) قمحد : الهنة الناشرة فوق القفا أو على القذال وخلف الاذنين .

اليـك من الاحسـاء زمت ركابهـا

فـكم جاوزت من فدفدٍ بعـد فدفد

فأحسن قراهـا بالقبول وبالرضا

ودع أم عبـد عنـك ذات التشـرد

وأحسن ما يحلـو به الختـم أننـا

نصلي دوامـا في الرواح وفي الغـد

على المصطفى والآل ما هبت الصـبا

وما أطـرب الاسماع صوت المغـرد

٤ ـ امتدت إمارة آل عائض حتى مدينة مخا على ساحل البحـر الأحمر ، وكان من ولاتهـا الشريف حسين بن محمد في بلـدة (أبي عريش) ، فعنّ على باله الاستقلال بما تحت يده ، والانفراد بالأرض التي ضمن نفوذه ، والعودة بأبي عريش الى سابق عهدها ، فنكث عهده عام ١٢٨٠ هـ مـع الأمير محمد بن عائض ، الذي كان حليماً إذ دعاه الى الوفاء بما قطع على نفسه ، والعودة الى الحكمة ، وعدم اراقة الدماء ، فأبى ، فعندها سيّر الأمير محمد بن عائض قوة ، وسار هو على رأسها ، فدخلت أبا عريش وهدمت الحصون ٠٠٠٠ وأجبرت المتعنت الى العودة الى الحق فكان هذا النصر قصيدة ذوبت في نفس الشاعر عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظي المتوفى عام ١٢٨٤ هـ فرحاً :

هنيت بالنصر في عيشٍ عليك هني

وبوئت بالنصر في شـام وفي يمن

ولا برحــت عــلى الاعــداء منتصرا
في الشرق والغرب مع شام وفي يمن

أعنيك يا بهجــة الدنيــا وزينتهــا
حييت بالامــن والاحســان والمنن

وقــد سمعت نبــا من عندكم عجبــا
أراح مكتئبــا من صولــة الزمن

ان قــد ملكت القصور النائفات على
(أبي عريش) الشهير الفرد في المدن

ان القصور لفي وصف القصور أتى
ولا كقصر سما (ســام بــه ففنى)

تركتها صفصفا بالقــاع هــامدة
كأنهــا في قــديم العهــد لــم تكــن

فأصبحت عبــراً للنــاظرين لهــا
وذاك مصداق ما في ســورة لبني

أمست تحــوم عليها الطير باكيــة
من فقــد ما ألفت فيهــا من السكن

والوحش يضحك في أرضٍ لها طرباً

فأعجب النوح ضحك صـــار في قرن

وكيف أصبح دار (النصر)(١) منجدلا

طود القصور الذي أربـــا على القنن

كأنــه جبــل في بطــن مقفــرةٍ

لاذت بـــه العصم(٢) لا تأوى الى وطن

وصار نجران دكاً بعـــد رفعته

وهو الفريد الذي ما مثل ذاك بُني

والشامخ الشامخ المهدوم شامخــه

قـــد فرّ منـــه شريف الاصل في علن

من بعد ما قيل لي أن قد دعوت لـــه

يوفي عهـــودا جرت في ســـالف الزمن

فخـــان مستنكفا لـــم يرع حرمتهـــا

يا ليتـــه لعهـــود الله لـــم يخـــن

---

(١) دار النصر أحد قصور الشريف المنيعة بأبي عريش ومثله قصر الشامخ ونجـــران .

(٢) العصم أي الضبا .

وظنّ جهلا بأن ينجيه شامخه

هيهات بل باع نفساً أبخس الثمن

وكيف ينجو وسهم الموت يطلبه

وسهمه نافذ في الروح والبدن

فقمت حين أبى الا مكابرة

بالحرب والضرب في الهامات والوتن

ولم يكن بالرقى قد صح من وجع

فكم رقيت لداء فيه مكتمن

لكنه زاده جرحاً على مرضٍ

فجئته بعلاج الحاذق الفطن

ليس الرقى لجميع الناس شافية

الكيى أشفى لجلد الأجرب النتن

فلم يكن غير أن جنّ الظلام له

فاستمطأ الليل يأويه الى جنن

ضاق الخناق عليه حين نازله

قرم الاسود مهيب الغاب والعرن

ففرّ مثـل نعـام جـافل عجلٍ
لم يلو رأساً على أهل ولا سكن

مشى برجـله عمـداً نحـو مصرعه
ليقضـي الله أمـراً في السـماء بني

★ ★ ★

فقـل لـه والألى كانوا بجانبـه
عنـد الفـرار مقـالا غـير ذي لكن

هـلا وقفتم ولـو مقـدار بارقـةٍ
فليس ينجي فـرارُ الخـائف الجبن

يا بؤسه في (جمادى) كـان مصرعه
تاريخـه زال خط القيـــدم الحسن

قد حطـهّ البين من شمّاء شـامخةٍ
لمـا جميـع ميـاديه عـلى دخـن

فخـرّ للفـم والكفـين منعفـراً
لمـا تعـوده مـن فعـله الخشن

يا ويحـه من صريعٍ بالحمـاقة لـم
يرقب عواقب نقض العهـد اذ يخن

أما درى أنــه الضرغــام من نفــرٍ

شمّ الأنوف بنــاة المجـد خير بنــي

الطاعنون العــدا والنــاقلون لهم

من البــلاد الى أخــرى مــن المــدن

حموا عن الدين ما لــم يحمه أحــد

مــن غــير ما فشــل فيهــم ولا جبن

★ ★ ★

أكرم بهــم وبقوم تابعــين لهــم

قبائل (الأزد) أهــل الحرب والطعن

جحافل مثــل أمواج البحور فــلا

يكاد يســلم ما فيهــا من السفن

يقــودهم غــير هيّاب ولا وجلٍ

(محمــد) الملك المنصــور بالسنن

نادى المعالي فلبتــه عــلى عجــلٍ

فقــادهم بزمــام اليمــن والرسن

له قبــاب بطيب الذكر شيّــدها

له جنــاب رفيــع لم يكن بدني

حدّث ولا حرجاً عن كل منقبةٍ
حوى لها فهو ملء العين والاذن

الخيل والليل والهيجاء شاهدة
والسيف والضيف والحظيُّ واليمن

والحق والخلق من ناءٍ ومقترب
مع الشريعة قول (الله) والسنن

ان قال قوم له مثلا فقل لهم
هل النجوم كمثل البدر في الحسن

قد صار كالشمس فيوسط الظهيرة ما
كانت مناشدة الركبان تخبرني

لا ما علمت ولا والله ما سمعت
اں قد فرى عبقري فريه أذني

من ذا يساويه في بأسٍ وفي كرم
ومن يناويه لا ينفك ذا حزن

من ذا يعاهده ثم يخالفه
من ذا يكابره من ذا ومن ومن

فاحذر لصولته وافرح بطولته

ولذ بدولته تنجو من المحن

★ ★ ★

فيا مريدا جباه أو محاولة

ففي جناه الذي تبغيه فاستبن

انظر اليه تجد من شأنه عجباً

يقري الضيوف ويفري لبة الدغن

كالبحر راحته كالبر ساحته

كالسحب جودته تنهل بالمزن

أخو المطامع يلقاه بذلتها

فينثني وهو من بعد العطاء غني

أجدى فلم تر ذخراً في مخازنه

الا قناطير شكر والثناء ثني

لا يقتني غير لامات الحروب وما

يعدّه للعدا ان بالغداة عني

★ ★ ★

يبكـــي لهيبتـــه والرعب أربعـــة

الكوم[1] والقوم والعاصي وكل دني

ويضحـــكون اذا لاقـــوه أربعــــة

السيف والضيف والعاني وكل سني

لا زال حظـــــك مقرونـــا بأربعـــةٍ

عـــزّ ونصر مـــع التأييـــد والمنن

ولا بليت مــــع الدنيـــا بأربعـــة

القلّ والذلّ والعصـــيان والفتن

ودمت في الامـــر محفوفـــا بأربعـــة

السعد والمجـد والاقبـــالِ واليمن

وقـــد زففت عروسا بنـــت ســـاعتها

تختـــال في حلل التحسين والزين

بكـــراً تـــزف الى كفءٍ يكـــون لهـــا

وللذي صـــاغها عونـــاً على الزمن

---

(1) الكوم : الابل ويقصد لأنها تذبح لكرمه .

(2) القوم : يقصد بها الجيش المعادي .

ولست أرخص أفوالي لسائمها
الا عليك ولو سيف بن ذي يزن

لأنني من أناس ليس شأنهم
تكسب بمديح كان أو هجن

فهاكها يا أمير المسلمين بلا
لوم عليك ولا مَنّ ولا ثمن

واعذر فان القوافي في عودها خشن
وانني في القوافي مثل ذا خشن

ويغتشيك سلامي والصلاة على
خير البرية مأمون ومؤتمن

والآل والصحب ما غنت مطوقة
وما تلألأ براق من اليمن

وما ترنم ذو شعر وقال لنا
هنيت بالنصر في عيش عليك هني

★ ★ ★

٥ ـ والمدح في هـذه المنطقة شعر سياسي لأنه لا يقصد منـه التكسب ، وإنما الولاء للأمـير ، أو اعطاء البيعة فعندما توفي الأمير « عائض بن مرعي » عام ١٢٧٣ هـ ، بايع وجهاء عسير ابنه « محمداً » ولـم يكن أكبر أولاده ، وإنما لمـا فيه من صفات ، ولم يكن إخوتـه لينازعوه كما يحدث بين أفراد الأسر المالكة ، وأكبر ميزة لآل عائض صفة الاتفاق بين أبنائها ، ومحبة الشعب لهم .

بايع الشاعر حسن بن أحمد عاكش الضمدي المتوفي عام ١٢٨٦هـ الأمير محمد بن عائض بهذه القصيدة . وكلمة (عاكش) لقب يكرهه هذا الشاعر ، لذا يوقع باسم (حسن بن أحمد اليمني) ، والضمدي نسبة الى ضمد من قرى المخلاف السليماني (منطقة جازان) ، يقـول هذا الشاعر .

نظـام هنـائي لؤلؤ وفرائـد
على عنـق العليـاء منهـا قلائـد

لملك دعا فاهتزّت الأرض فرحة
وعـاد عليهـا بالمسرات عـائد

نفى الخوف عن كل القلوب بدعوةٍ
تكاد لداعيهـا تلبـي الجلامد

شجاع به تقوى الجيوش على اللقا
ومن جأشه للجيش قلب وسـاعد

يرجّي نــداه كــل ماش وراكبٍ

وتخشى صداه الأسد وهي حوارد

فلله يــوم قمت فيــه وســاعة

لطالعها المسعود حظك راصــد

ستمــلك أقطــار البــلاد جميعها

ويدنو اليك النــازح المتبــاعد

ويصبح عاصي الأرض للأمر طــائع

له سابق خوفاً اليــك وقائــد

فيا بيعــة جاءت بأربــح متجــرٍ

لها الله من فــوق السموات عاقــد

لقد صافحت منك الامارة ماجــداً

له شــاهد من مجــده ومشاهد

تخيّــرت الكفو الكريم من الورى

بمرٍ هو البيض الرقاق الحــدائد

فحق الهنــا حقــاً لها بك لا بهــا

فأنت امــام قمت أو أنــت قاعــد

ودم آمراً طول الزمــان وناهيــاً

لحكمك تدبــير الالــه معــاضد

وهــاك هنــاء نظّم الفــكر دُرّه

تمنّـــاه في أعنــاقهن الخرائــد

وصلّ إله العرش ما ناح ساجع

وما ارتقصت خضر الغصون الموائد

على المصطفى المختار خــيرة خلقه

كذا الــه ما خــرّ لله ســاجد

٦ ــ كان الأمــير محمد بن عائض شديداً وذا قوةٍ يفوق بهــا أنداده ، وكان في حديقة بيته أسد يربيه ويعتني به ، وقــد خصص له مروضاً ، وذات يوم هجم الأسد على مروضه على غفلةٍ منه فأرداه صريعاً .

تأثر الأمير محمد على هذا المروّض وعلى أطفاله العديدين الذين يتّموا وأمهم التي أيست ، وهو الأمير الألوف لمن عُرف ، المحب لمن عاشر ، فأقسم أن ينتقم من الاسد ، وأن يصارعه ، ولا يقتله وهو في عرينه ، وحاول رجاله ثنيه عن عزمه فلم يفلحوا .

أخرج الأ مير محمد بن عائض الأسد من مكانه ، وتركه قليلا ، ثم بدأ يصاوله حتى يستعد الاسد للمبارزة ثم كانت الجولة التي انتهت بمصرع أسد الوحوش على يد أسد الإنس ، فقال أحد الشعراء ــ وقد تباروا ــ قصيدة في ذلك ، ولم أستطع العثور على اسم هذا الشاعر رغم ما بذلت .

قال :

تؤنبني أم الحسين لأنني
مدحت اليزيدي جهاراً على الملا

أبا سعد مغواراً اذا كان فارساً
كذلك صنديداً اذا كان راجلا

رويدك يا أم الحسين وخفّفي
من اللوم إني لا أطيع العواذلا

فمن كأبي سعدٍ إذا هزّ مازناً
من البيض صمصاماً يخيف الجحافلا

عجبت لضرغام من الانس باسلٍ
يواثب ضرغاماً من الوحش صائلا

ويأتي إليه ضحوةً في عرينه
يخاتله حتى أصاب المقاتلا

ويأخذ ثأراً منه للحارس الذي
يغذّيه حتى اجتذّ منه المفاصلا

فأيتم أطفالا وأيّم أمهم
وأورده صدعاً يضم الجنادلا

جزاء وفاقاً للذي أهمل الوفا

ومن ضيع الحسنى استباح الرذائلا

وذا شأنه في كل من سولت له

أمانيه حتى يركب الصعب جاهلا

بأن أبا سعدٍ سيصليه غارة

تظل نساء الحي عبرى ثواكلا

يذكّرني هذا بشاعر حاسد

فقد قال شعراً في السفاهة موغلا

وحض على منع الزكاة قبيله

وأوردهم نقعاً من السم قاتلا

فسار يغذي السير نحو بلادهم

بفتيان صدقٍ يجنبون الصواهلا

وشن عليهم غارة أذهلتهم

فولّوا سراعاً يسبقون الجوافلا

فما بين مقتولٍ وبين مصفدٍ

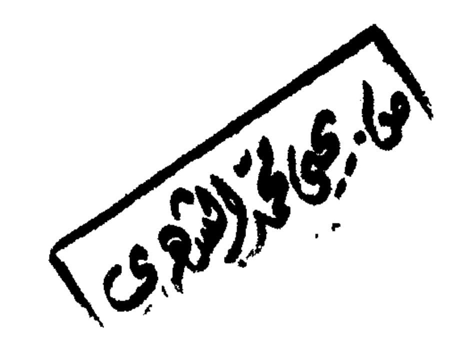
ثقيل الخطا يمشي يجر السلاسلا

تصدى لغزو الترك في كل بندرٍ
وطهّر منهم بحرها والسواحلا

وذاد عن الاسلام من رام محوه
وشيّد أركاناً له ومعاقلا

والواقع أن منطقتنا مليئة بالقصائد والكتب المخطوطة ولا يزال أصحابها ومن بأيديهم أمرها يضنون بها ، ولا بدّ لها في المستقبل من أن تظهر ، ويظهر معها أدب عسير وتاريخها بشكل جليّ .





\- ٢ -

الشعر الوصفي

عسير بلد الخير والجمال والخضرة والظلال والماء والاعتدال لذا أكثر شعراؤها من وصفها والتغني بأنواع شجرها وزيادة تهطالها وخضرة أرضها ، وبخاصةٍ أنها وجدت في بقعة تكون الطبيعة فيها على وتيرةٍ واحدة صفراء الرمال سوداء الصخور لا تنبت زرعاً إلا ما تجمعه بعض الأودية من أشجار النخيل ، والشمس فيها محرقة تئن صخورها من وطأتها ، ويفرّ المرء من شدة لظاها ، ويختفي الحيوان من لفح حرّها . قليلة المياه لو جرى فيها نهر لغار من شدة ظمأ تربتها .

فعسير يتوفر فيها الجمال على حين ينعدم من حولها ، وتكثر فيها الظلال فيأرضٍ أشد ما يحتاج المرء فيها الى ظلّ يأوي اليه ، ويزداد فيها الماء في الوقت الذي يتمنى البدوي قطرة ماء،فالأمطار غزيرة فيسراةعسير وأطوارها ، والحرارة فيها معتدلة لارتفاعها . لهذا أكثر الشعراء من وصف بلادهم .

١ — قال زاهر الألمعي يصف مدينة أبها ، وقد انتقدها بعضهم ببردها ، ونقتطف هذه الأبيات له من قصيدة طويلة .

أما الغبـــار فــلا يبــدو له شبح

في أفق (أبها) فذاك القول بهتان

لأنهــا في الــذرا باتت محصنــةً

يحيطهــا من سياج الزهــر ألوان

هي الجمال هي المصطاف يقصدها

من كل صقع مدى الأزمان إخوان

فيها (القرى) و (الصفيح) الغض منظره

في سوحها (الخشع) و (الصفرا) و (لبنان)

أما تدرّجت في شتى مرابعهــــا

أليس منها (ضباعات) و (جوحان)

منها (العرين) ومنها (البصرة) انتظمت

وطاب من غرسها خــوخ ورمان

فيهــا البساتين تغري في مناظرها

وزهرة الروض في الواحات (نعمان)

أطــلالها معقــل الأمجاد من قدمٍ

ولا يــزال بهــا شيب وشبان

قوم إذا ما دعا الـداعي لمعركـةٍ

هبـّوا أسوداً لها في السبق ميدان

شمُّ الأنوف متى هاجت مواكبهـم

قاد الكتائب في الغارات شجعـان

ومـن أخص صفات القوم أنهـمُ

للضيف أنس وللمظلوم أعـوان

فلو تجولت في شتى مصائفهـا

لراعك الورد واستهوتك أفنـان

أما رأيت جبال(السودة)اصطبغت

بعاطـر الورد والأزهـار تزدان

كم بلبلٍ شادٍ صدّاحاً برونقهـا

يـردد اللحن فيهـا وهو جـذلان

يكسو التلال سياج من خمائلها

والورس بُـرد وزهر الروض فستان

فيها عبـير الشذى يغري بنشوته

وللأريـج بها نفـح وعرفـان

ولو تدرجت في أعلى مشارفهـا
أتاك من نفحها روح وريحان

لكن كفتك بطاح الأرض منتجعاً
عن مجد (أبها) وفي ذرواتها البان

ومن المناطق المشهورة القرعاء ، وهي مصيف جميل في ضواحي أبها يطلّ على منحدرات تهامة ، وتقع الى الجنوب الشرقي من أبها ، يقول الشاعر في وصفها :

شعـاع من الإشراق والبسمـات
مطـلّ عـلى الآفاق والفلوات

فأيقظ عزمي واستثار مشاعـري
وأبـرز مافي القلب من خلجـات

فسرت له والشوق مني مطيـة
أجوب بهـا البيـداء والعقبات

ويممت للقرعاء وجـه مطيتي
فتعـدو بوثب صادق العزمات

وقفت عـلى القرعاء وقفة شاعرٍ
رأى روضة مفتوحة الزهرات

فجالت بي الأنظـار بين رحابهـا

وشاهـدت ما فيهـا من الثمرات

وأدلجت في أشعافهـا ووهادهـا

فكانت بحق روضة البركـات

فما أجمل المصطاف حـين تفتحت

زهور الربا بالعطـر والنفحات

ونفح الشذا أضحى يعم بنشره

مشارف قصر عالي الشرفـات

وإني بعاليهـا وقربي منـارة

جميلة شكلٍ ساطـع القسمات

تلوح بها الأفنـان وهي شذية

فتهـدي عبير النشر والنسمات

وبلبلهـا الصدّاح شادٍ بلحنه

فأطربنا مـن ساحر النغمـات

ترى غصنها الميّاد جاش بهزه

فرنت لها الأنغـام بالنبـرات

فلله مـــن ساعات أنس تتابعت
عـــلى نشز القرعـــاء مزدهرات

ونشوة نفح النشر لما تضوّعت
به أيكـــة منظومـــة الشـــذرات

يبيت بهـــا كلّ يكفكف دمعـــه
على مهمهٍ(١) من أرضها النضرات

عـــلى بركات الله يا زهـــرة الربا
سأمضي وقلبي مفعم الحسرات

فما شئت من نفـــحٍ فإن قلوبنـــا
لترنو لتحظى منك بالنفحـــات

وليست (السودة) و (القرعاء) من المناطق الجميلة فقط ، ولكن السروات كلها جميلة من الطائف وحتى الجنوب . معتدلة الحرارة كثيرة الخضرة ذات رهبة وبخاصة في تلك العقبات لا يتم الانتقال بين تهامة والسروات إلا عن طريقها ، وتلك الأودية العميقة المليئة بالأشجار .

ونرجو أن تظهر القصائد التي لا تزال محفوظة في خزائنها لتجلي جمال المنطقة ويشعر الأدباء في بقاع الأرض بمفاتنها .

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة . والجمع مهامه .

هذا الكتاب

فاني أردت بكتابتي لهذا الموضوع الصغير أن أعرّف القراء بمنطقة عسير المغمورة ، وأبين شيئاً من أدبها وتاريخها الزاهر • وما أعتقد أن في هذا شيئاً فكل امرىءٍ يحبّ أن يوجّه النظر الى منطقته ، فقد جبل الانسان على حب وطنه •

وأنا ـ ابن عسير ـ أفخـر بما في بلـدي ، وأعتزّ بما في تاريخها ، أهوى أرضها ، وأتعشق مُناخها ، وأستطيب هواءها ، وأُسرّ لكرم أهلها ، ويعجبني خلق أبنائها ، وجو سمائها ، وطعم مائها ، وكثرة بهائها ، وسر صفائها، دون تعصب ولا نكران للبلاد الأخرى فكل أرض جعلت لأهلها شامة •

ومـاء بلادي كـان أطيب مـورداً
ولو أن ماء الكرخ صهبـاء جريان

وحبذا لو أن كل انسان عرّف بوطنه ، ووجّه النظر الى دياره ، فعُرفت الأقطـار ، وعُلم مافي الأمصار ، فتنقـل المرء من زهرةٍ الى زهرة يعرف مافيها من روائح طيبة فيشمّ مايحلو له ، ويستنشق ما يطيب له فتصفو حياته ويهنـأ عيشه ، وهـذا ما نريده للبشر •